بسم الله الرحمن الرحيم

جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان

ملتقى التعايش السلمي

تحت شعار: بلد واحد متماسك

١١ صفر ١٤٤٣هـ الموافق: ١٨ سبتمبر ٢٠٢١م

الورقة الثانية بعنوان:

التعايش السلمي في درافور ودور الإدارات الأهلية في تحقيقه

إعداد: د. عصام الدين أحمد محمد بابكر

مقدمة:

السودان: التاريخ والإنسان

السودان الوطن الواحد، بلد التعايش منذ أقدم العصور، حباه المولى عز وجل وجل بأرض مرحابة، تستقبل بترحاب كل من هاجر إليها وتستوعبه وتضعه في المكان اللائق به.. ولكن تتكسر فيها طموحات الغزاة وترتد جحافلهم.. وما يزال السودان أرضا ووطنا يسع الجميع..

ومن أنبل وأشهر بقاع السودان إقليم دارفور، بلد القرآن والمحمل وكسوة الكعبة، أرض القيم المتوارثة، أرض الإنسان الأصيل..

فقد عرف إقليم دارفور ومنذ أقدم العصور وحتى وقتنا المعاصر بأنه موئل العلماء وطلاب العلم القرآن، من الدول القريبة والبعيدة ينهلون من العلم والأخلاق، ويصدرون قافلين إلى أهاليهم وبلدانهم تلهج ألسنتهم بالثناء.. وتحفل صدورهم بالعلم الغزير.. ويتميز سلوكهم وأخلاقهم بالقيم النبيلة..

التعايش السلمي مفهومه ولوازمه

التعايش كمفهوم هو في الأساس يعني التعاون، وهو مفهوم يقوم على الثقة والاحترام المتبادل بين أصحاب المصالح المشتركة والوطن الواحد والإقليم المشترك، ويكون هدف هذا التعايش هو تحقيق الغايات التي تتفق عليها الأطراف المختلفة التي تعيش في أرض واحدة وتجمعهم هموم وتطلعات مشتركة... لذلك يحرص أهل البلاد الواحدة على هذا التعايش والتعاون ويقومون باتباع القيم والموروثات التي تحض على التعاون والتناصر في الحق، ينفذون تلك التقاليد عن اقتناع لديهم وبكامل رغبتهم وباختيارهم الحر..

إذاً إن مفهوم التعايش هو نوع من أنواع التعاون المشترك والإيجابي والذي يهدف إلى إيجاد الأسس القوية والأرضية المشتركة التي تتفق عليها كل مكونات المجتمع الواحد، وهو من المفروض أن يتم عن طريق اقتناع داخلي نابع من البشر أنفسهم عن رضا كامل وإيجابي منهم.

وحتى يتحقق التعايش السلمي لا بد من الآتي:

١. صفاء القلب تجاه الأخ والمواطن الذي يساكننا الحي والمدينة والقرية ويتقاسم معنا الموارد وهموم الإقليم والسودان بأكمله..
٢. نشر التعليم ورفع الجهل الذي بسببه تتخلف المجتمعات ويسود السلوك العنيف محل القيم المتسامحة..
٣. أن يحدث التوازن في الخدمات التي يحتاجها المواطن فلا يشقى ليتحصل عليها، أو تتزاحم الأسر حتى تجد نصيبها من المأكل والمشرب، فتحصل الاحتكاكات والإحن..
٤. السعي الدائب من الحكومات في التنمية المتوازنة التي تناسب البيئات والمجتمعات فلا تضطر الأسر والقبائل للهجرة ومساكنة ومزاحمة آخرين في مواردهم وخدماتهم..

أسباب فتق النسيج الاجتماعي السوداني

تتعدد الأسباب والنتيجة دائما واحدة، وبعض هذه الأسباب داخلي والبعض الآخر خارجي، فلنركز حديثنا على الأسباب الداخلية:

١. عدم انتشار التعليم بشكل متوازن في كل أنحاء البلاد، مما أسهم في انتشار الجهل والأمية خاصة في المناطق الريفية والبدوية..
٢. ضعف التنمية وعدم وجود مشاريع خدمية تسد حاجة المواطن، فيضطر للهجرة بعيدا، وقد يحركه الإحساس بالظلم والتهميش لتصرفات أخرى...
٣. التزاحم في متطلبات الحياة [مثل الماء والأراضي] بين أصحاب المهن المختلفة [رعاة تجار مزارعون]، ولو تم تنظيم وحسن توزيع الموارد لتجنبت البلاد كثيرا من الويلات..
٤. عدم استقرار الأوضاع السياسية بالبلاد..

الدور الإيجابي للقبيلة في مواجهة معكرات صفو التعايش السلمي

السودان البلد المترامي الأطراف، متعدد القبائل، متنوع الثقافات، طويل الحدود، كثير دول الجوار.. هذا الوطن الكبير بقيمه، الواسع بأرضه، الغني بتراثه... هذا الوطن بإرثه البازخ تتناوشه مهددات كثيرة، أخطرها هي معكرات صفو التعايش السلمي، ولكن للقبائل وزعمائها دور كبير جدا في محاربة الظواهر التي تعكر صفو السلم الاجتماعي إذا روعيت الجوانب الآتية:

أ. الأصل أن الإسلام أقر القبيلة والانتماء إليها لأجل التعارف والتعايش مع إخوانه من بني آدم..
ب. كل إنسان فخور بأصله وقبيلته.. ولكن الإنسان قليل بنفسه كثير بأخوانه..
ت. شجع الإسلام على التناصح والتعاون والتناصر في الحق لأن مصالح بني آدم لا تتم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالتعاون والتناصر..

ث. منع الإسلام التناصر في الباطل والتعاون على الإثم والعدوان.. بل نهى الإسلام عن النجوى بين اثنين دون الثالث لأن ذلك يؤلمه، وهذا التوجيه غاية في الحرص على اجتماع القلوب وعدم تنافرها..

ج. أباح الإسلام لكل إنسان أن يعمل ويكد ويجتهد لتحصيل مصالحه.. لكن الإنسان منهي عن الإضرار بمصالح إخوانه [لا ضرر ولا ضرار]..

عليه يمكننا تقديم بعض المقترحات التي ترسم دور القبائل وزعمائها في ترسيخ السلم المجتمعي:

أولا: أن يعمل قادة وزعماء القبائل متعاونين مع الإدارات الأهلية والسلطات الرسمية على تحقيق الغايات الكبرى التي يطلبها الإنسان دائماً، وتشتد حاجة سكان الإقليم إليها، ليتطور الإقليم وينطلق في ركب السلام الذي ننشده في كل بقاع السودان..

ثانياً: العمل على استبعاد أي كلمة أو عبارات تحريضية قد تمس الوحدة الوطنية أو تثير الغبائن وتشجع على النعرات القبيلية، أو الحمية الجهوية..

ثالثا: الحرص على التفاهم الراقي والتعايش الإيجابي بين جميع مكونات المجتمع، والتي تربطها قيم مشتركة من المفاهيم والتطلعات، والتمسك بالقيم النبيلة مثل المروءة والإيثار ونجدة الملهوف، ونصرة المظلوم..

رابعا: العمل على نشر ثقافة الاحترام المتبادل بين المواطنين وتعميق الثقة فيما بينهم.

خامساً: اعتبار زعماء القبائل والإدرات الأهلية شركاء فاعلين في حالتي السلم والاضطراب، بحيث يشاد بدورهم في تحقيق السلم ويحفزون على ذلك، بينما يتحملون المسؤليات كاملة إذا حدث إخلال بالأمن، وعندئذ لن يتستروا على ظالم أو معتد.. حيث تحمل الدولة الزعامات القبيلة مسؤوليتها كاملة ليس فقط في فض النزاعات؛ وإنما حتى في الحفاظ على البيئة ومنع القطع الجائر للثروة الغابية، لذلك تجد رؤساء القرى يتصدون لمن يقطع الأشجار مثلما يتصدون لقطاع الطرق..

دور زعامات الإدارة الأهلية في توفير الاستقرار المجتمعي:

من المؤكد أنه لا يمكن التأثير في سكان القرى والمناطق الريفية وضبط المتفلتين، إلا عبر إداراتهم الأهلية، والزعامات المحترمة لديهم؛ لذلك يجب على الجهات الرسمية أن ندرك أهمية الدور الذي تقوم به الإدارات الأهلية في حفظ الأمن وتوفير أسباب الاستقرار، عليه يمكن أن نقرر في نقاط موجزة دور قيادات الإدارة الأهلية في تحقيق السلم الاجتماعي:

أولا: تعديل القوانين الخاصة بالإدارة الأهلية بحث تعيد لهم مكانتهم والاحترام الذي كانوا يحظون به من كل من يقيم في مناطق سلطانهم..

ثانيا: عدم تسييس علاقات زعماء الإدارات الأهلية بالسلطات أو الأحزاب، لأن الانحطاط إلى هذا الدور سيؤدي حتما إلى الشقاق والخلاف والنزاع بسبب تباين الآراء السياسية، كما سيؤدي إلى إضعاف هيبة الزعماء في نظر قومهم..

ثالثا: استشارة أهل الرأي والخبرة من زعماء الإدارات الأهلية في القرارات المصيرية للإقليم، وتوجيههم لعكس وجهة نظر الحكومة لعامة سكان الإقليم بالأسلوب المناسب الذي يحمل السكان على التفاعل مع توجهات حكوماتهم ودعمها.. **[مجلس أعيان الإقليم]**

رابعا: رجوع الإدارات الحكومية الإقليمية إليهم قبل البت في النزاعات التي تنشب بين الرعاة والمزارعين سنويا، لأن كلمتهم مسموعة، وهم ضامنون موثوقون لدى جميع الأطراف..

خامسا: أن يقدم زعماء الإدرات مبادرات لإزالة أسباب أي توتر أو اضطراب للأمن والسلام بالإقليم، قبل حدوث النزاعات، والمسارعة بعقد المصالحات في حدوث نزاعات..

الخاتمة وتتضمن أهم التوصيات

الحمد لله على التمام فقد وفق وهدى وأعان على إكمال هذه الورقة التي أخلص في خاتمتها إلى الآتي:

يجب أن يكون الحرص على التعايش السلمي في البلاد موجها بشكل رئيسي إلى إنصاف جميع المظلومين والمقهورين في الوطن وبدون تمييز بينهم، أو استثناء لأي طرف منهم...

كما يجب إلزام كل الأطراف سواء كانوا أشخاصا أو جماعات أو الدولة نفسها على احترام كل مكونات المجتمع وإعطاءهم حقوقهم وتقديم كافة الخدمات الحياتية والتنموية لهم ليعيشوا بسلام في مناطقهم..

إن آمال وتطلعات سكان هذا الإقليم المعطاء في العيش بأمن وسلام مبررة فقد أعيت الحروب الأهالي قبل الحكومات وأسهمت في الهجرة وعدم الاستقرار..

فلماذا لا يصطلح أهل دارفور على ميثاق تعايش يفضي بهم للاستقرار والأمن والأمان والتنمية والتقدم؟؟ بعد أن عقدت اتفاقيات سلام نأمل وندعو الله أن تمضي لغاياتها الإيجابية في خدمة إنسان دارفور..

في خاتمة هذه الورقة أتقدم بتوصيات أختصرها كما يلي:

أولا: بالنسبة للحاضرين المشاركين في هذا الملتقى:

١. فلنقدم المصلحة العليا على المصلحة الشخصية أو مصلحة القبيلة سعيا لإيجاد وطن واحد متماسك..
٢. لنتواثق على ميثاق شرف نحقن به الدماء ونصون به الأعراض، وذلك بتحكيم القانون وجعله فيصلا في خصوماتنا، ولا نسمح لأحد بأخذ الحقوق التي يعطيها له القانون بيده..

٣. لنسع لتبادل الاحترام متواصين بالحق، أيادي متشابكة لاستقرار إقليمنا بل وطننا..

ثانيا: بالنسبة للدولة وحكومة الإقليم وحكومات الولايات:

١. على الحكومة المركزية إعادة النظر في المناهج الدراسية وتضمينها قيم التسامح والتعايش السلمي ونبذ الاحتراب القبلي في جميع المراحل الدراسية، ضمن مادة التربية الوطنية، وفي الجامعات ضمن مطلوبات الجامعة..

٢. نرجو أن تهتم الدولة وحكومة الإقليم بتوفير خدمات الصحة والتعليم والتنمية في المناطق التي تعاني من النزاعات القبلية والإثنية والجهوية..

٣. أن تتعاون الحكومات الولائية وتقدم التسهيلات ليقوم رموز الإدارات الأهلية بالطواف على كل مناطق الإقليم، خاصة المناطق المتوترة أو يخشى حدوث توترات أو احتكاكات.. مبشرين بمخرجات هذا الملتقى وحث الأهالي على التفاعل مع توصياته.. داعين للسلام والتعايش والرضى بمن نعيش معهم وبينهم منذ مئات بل آلاف السنين..

اللهم حقق السلم والسلام والإيمان في ربوع بلادنا عامة ولأهل هذا الإقليم المعطاء خاصة

وبالله التوفيق